الباعث

من أسماء الله الحُسنى الباعث.. وقد ورد هذا الاسم في أحاديث رسول الله ﷺ التي ذكر فيها أسماء الله الحُسنى .

البعث في اللُّغة.. الإثارةُ والإنهاض.. يقال : بعث بعيره فانبعث أي استنهضه فنهض.. أنهضه ، وبعثه : أرسله ، وانبعث فلانٌ لشأنه أي سار لشأنه ، بعث الناقة : أثارها ، بعث فلاناً من نومه : أيقظه ، البعث : بعث الجنود إلى الغزو ، البعث هو الجيش ، البعث : الإحياء من الله عزَّ وجلَّ ، البعث : النشر . هذا ما ورد في معاجم اللغة حول معنى كلمة البعث كمصدر في اللغة .

وأما الباعث في حقِّ الله تعالى.. فلهذا الاسم معانٍ كثيرة ، ومن هذه المعاني أنَّ الله سبحانه وتعالى باعث الخلق يوم القيامة كما يقول في سورة الحجّ ، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].

أي أنَّ الله سبحانه وتعالى يُنهض الموتى من قبورهم ليحاسبهم ، وقد قال تعالى في سورة الزلزلة :

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الزلزلة : ١-٦] .

هذا هو البعث.. فالمؤمن يؤمن بيوم البعث .

المعنى الآخر لاسم الباعث أنَّ الله جلَّ جلاله باعث الرسل إلى الخلق ، يقول تعالى في سورة النحل :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ [النحل : ٣٦] .

إنهاض الناس من قبورهم باعث ، وإرسال الرسل إلى الناس كافَّةً باعث .

والمعنى الثالث أنَّه تعالى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة أي أنَّ الله عزَّ وجل يُلهم الإنسان في حركاته وسكناته.. وذلك بالطبع لصالحه مكافأةً أو تأديباً.. قال تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [يونس : ٢٢] .

ألم يقل النبيُّ عليه الصلاة والسلام :

« **إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ** » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ** » [رواه مسلم] .

هذا التقليب لصالح العباد ، فالإنسان أحياناً يُلهَم أن يتحرَّك ، يُلهَم أن يسير في هذا الطريق ، يُلهم أن يشتري ، يُلهم أن يبيع ، وقد يستجيب أحياناً لوسوسة الشيطان . والله سبحانه وتعالى لا يسمح لفعلٍ إلا إذا كان فيه صالحٌ للعبد نفسه ، الله تعالى يُقلِّب قلوب العباد بين أصبعيه .

فمثلاً لو أنَّ الإنسان اختار طريق الحق أو اختار طاعة الله عزَّ وجلَّ ، أو اختار التوبة النصوح ، ربُّنا سبحانه وتعالى يشرح له صدره ، شَرْحُ صدره إعانةٌ لهذا العبد على طاعة ربِّه ، فقد قال

تعالى : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف : ١٣] .

فالإنسان مثلاً إذا تحرَّك نحو الله قليلاً فالله سبحانه وتعالى يبارك حركته ويشجِّعه ويشرح له صدره ويُعينه على طاعته ، ألم يُجمَع القرآن كلُّه في الفاتحة ؟ ألا تُجمَع الفاتحة في آية ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

ولو أنَّ الإنسان اختار طريق الباطل ، أو طريق الشهوة ، أو طريق المكاسب الماديَّة ، أو طريق الأذى ، فالله سبحانه وتعالى كيف يُعينه على أن يبتعد عن هذا القرار ؟ يجعل صدرهُ ضيِّقاً حرجاً كأنَّما يصَّعد في السماء كما ورد في قوله تعالى :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

فهنا وقفة دقيقة . . إن اتخذت قراراً صحيحاً شرح الله لك صدرك وهو بهذا أعانك على متابعة هذا القرار ، وإن اتخذت قراراً خاطئاً ضيَّق الله عليك نفسَك ﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ لعلَّك ترتدع عن متابعة هذا القرار .

فالله سبحانه وتعالى حينما جعل قلوب العباد بين أُصبعيه ما جعلها كذلك إلا ليعين عباده على الخير ، وليبعدهم عن الشرِّ ، فالباعث أحياناً يبعث هذا الانشراح ، والمثبِّط يبعث له هذا الضيق ، فالله سبحانه وتعالى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة .

هناك معنى آخر : إنَّ الله سبحانه وتعالى أمر ونهى وكلَّف ،

وأعطى الإنسان حريَّة الاختيار ، ولو أن الإنسان اتخذ قراراً خاطئاً وتابع خطأه إلى ما لا نهاية حتى جاءه الموت وهو متلبِّسٌ بالمعصية والكفر ، لاستحقَّ جهنَّم إلى أبد الآبدين ، هذا محض العدل ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى رحيم يربِّي هذا العبد ، فلو أنَّه اتخذ قراراً خاطئاً وأراد أن يُؤدِّبه بعثه إلى عملٍ يستحقُّ عليه عقاباً شديداً . . فإذا أراد ربُّك إنفاذ أمرٍ أخذ من كلِّ ذي لـبٍّ لُبَّه .

فمثلاً : إذا اتخذ إنسانٌ قراراً في أن يؤذي الناس ، كأن يَغُشَّهم في بضاعته ، وأن يغتصب بعض أموالهم ، وحاز هذا المال ؛ فلو أنَّ الله تركه إلى نهاية المطاف لاستحقَّ النار ، لكنه يتحرَّك حركةً خاطئة فيبعثه إلى عملٍ يستحقُّ عليه العقوبة كي يؤدَّب ، فقد قال تعالى :

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام : ١٤٧] .

إذاً إنَّ الله تعالى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة إما تحقيقاً لاختيارهم ، أو تأديباً لهم ، أو مكافأةً لهم ، فلو أنّ إنساناً أدَّى زكاة ماله يبعثه لشراء صفقةٍ رابحة ، يُعوِّض عليه كلَّ ما دفع ، بينما إنسان آخر بخل أن يُزكِّي ماله يبعثه إلى صفقةٍ خاسرة .

فالله عزَّ وجلَّ يبعث . . بالمعنى الأول يُحقق لك اختيارك ، وبالمعنى الثاني يُكافئك على حسن اختيارك أو يؤدِّبك على سوء اختيارك ، هذا التسيير الأول . . لتحقيق الاختيار . . أما الثاني فهو لدفع ثمن الاختيار .

التسيير الأول هو أن تحقق اختيارك . . أما التسيير الثاني فهو تسيير

تربوي ، فإما أن يشجع وإما أن يعاقب ، وهذا هو معنى يبعث عباده على الأفعال المخصوصة .

يبعث من في القبور . . ينهضهم .

يبعث الأنبياء والمرسلين . . يرسلهم .

يبعث عباده على الأفعال المخصوصة . . أي يخلق الإرادات والدواعي في قلوبهم .

والمعنى الرابع . . أنَّ الله سبحانه وتعالى يبعث عباده عند العجز بالمعونة والإغاثة .

فالإنسان بين حالين لا ثالث لهما ، حال الاعتداد بالنفس كما حدث للصحابة الكرام يوم حنين فقد قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة : ٢٥] .

وحال الافتقار إلى الله مثلما حدث للصحابة الكرام في بدر ، فقد قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٣] .

أنت بين حال الاعتداد بالنفس أن تقول : أنا ، وبين حال الافتقار إلى الله أن تقول : الله ، إن قلت : أنا ، تخلَّى عنك ، ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ .

والحالة الثانية حال أن تقول : الله ، وعندها يتولاَّك الله بالرعاية والتوفيق . في حياة كلٍّ منا كل يوم عشرات الدروس ، إن قلت : أنا تخلَّى الله عنك ، وإن قلت : الله ، تولاَّك ورعاك وأيَّدك ونصرك وأعانك وألهمك وحفظك ودافع عنك ، شتَّان بين أن تقول : الله ،

وأن تقول : أنا ، ولا يخفى عليكم أنَّ . . أنا ، ونحن ، ولي ، وعندي أربع كلماتٍ مهلكات ، فقد قال إبليس : أنا ، فأهلكه الله ، في سورة ص مخاطباً ربه :

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص : ٧٦] .

وقال قوم سبأ : « نحن » فأهلكهم الله تعالى :

﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [النمل : ٣٣] .

وقال فِرعون : « لي » فأهلكه الله :

﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾ [الزخرف : ٥١] .

وقال قارون : « عندي » فأهلكه الله :

﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص : ٧٨] .

فالمعنى الرابع . . أنَّ الله سبحانه وتعالى يبعث عباده عند العجز بالمعونة والإغاثة ، وعند الذنب بقبول التوبة .

هذا مجمل المعاني التي وردت في الكتاب والسنَّة عن اسم الباعث ، وقيل : الباعث . . الذي يبعث مَن في القبور ، باعثُ السّاكنِ ، ساكنٌ يبعثه الله فيتحرَّك ، كلُّ شيءٍ ساكن يبعثه الله فيتحرَّك ، فالنبات في الشتاء ساكن يكون حطباً ، ويأتي الربيع فيبعثه الله فيزهر ويورق ويُثمر ، بعض الحيوانات تنام في الشتاء فإذا جاء فصل الربيع بعثها الله .

البذرة . . فيها رُشيم ، فيها جُذَير ، فيها سُويق ، فيها حياةٌ يمكن أن تُخزِّنها آلاف السنوات ، القمح الذي وجد في الأهرامات زُرِع فأنبت وقد مضى عليه ستَّة آلاف عام ، فلما وضعت هذه البذرة في الأرض بعثها الله ، نبتت .

وهذا معنى اسم الباعث مطلقاً.. باعث الشيء الساكن، شيء ساكن فيتحرَّك .

باعث الهمم.. فالإنسان أحياناً تضعف نفسه ، فإذا استعان بالله عزَّ وجلَّ أعطاه همةً ، وأعطاه قوةً وأعطاه اندفاعاً ، لذلك فالمؤمن الصادق يدعو ويقول :

« **اللهمَّ! تبرَّأت من حولي وقوَّتي ، والتجأت إلى حولك وقوَّتك ياذا القوَّة المتين** » .

يقول أحد العلماء : « **الباعث** ».. **هو الذي يحيي الخلق يوم النشور ، ويبعث من في القبور ، ويحصِّل ما في الصدور** » .

كلُّ أعمالك مسجَّلةٌ عليك ، سوف نُبعث ونراها أمامنا واحدةً واحدة فقد قال تعالى :

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء : ١٤] .

والبعث هو النشأة الآخرة ، فالنشأة الأولى في الدنيا ، والنشأة الآخرة يوم القيامة .

قال بعض العلماء : « **الإنسان أحياناً يتوهَّم أنَّ الموت عدمٌ ، وأنَّ البعث إيجاد ابتداءً** » ، والحقيقة غير ذلك ، الإنسان يموت ولكنَّه في القبر إما أن يكون من أهل النعيم ، وإما أن يكون من أهل الجحيم ، إما أن يكون القبر روضةً من رياض الجنَّة ، وإما أن يكون القبر حفرةً من حفر النيران ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

الموت ليس فناءً ونهايةً ومن ثم يوم القيامة فيه بدءٌ جديدٌ ، لا ،

بل هناك حياة برزخية ، ألم يقل الله عزَّ وجلَّ في فرعون وقومه يصفهم في قبورهم :

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] .

مضى على عذابهم أكثر من ستَّة ألاف عام وإلى يوم القيامة غُدوّاً وعشياً ، هذه الآية أصلٌ في عذاب القبر أو عذاب البرزخ مطلقاً .

الموتى إما أن يكونوا أشقياء ، وإما أن يكونوا سعداء ، إن كانت أعمالهم سيِّئة كانوا أشقياء في القبور وإلى يوم القيامة ، وإن كانت أعمالهم صالحة كانوا سعداء في القبور وإلى يوم القيامة ، لذلك فإن القبر روضةٌ من رياض الجنَّة ، أو حفرةٌ من حفر النيران .

ورد في بعض الآثار : « **أنَّ روح الميِّت ترفرف فوق النعش تقول : يا أهلي ويا ولدي لا تلعبنَّ بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حِلِّه ومن غير حلِّه ، ثم خلفته لغيري فالمهناة له والتبعة عليّ فاحذروا ماحلَّ بي** » .

عن أبي طلحة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال » . وعن أبي طلحة قال : « لما كَانَ يومُ بَدر ، وظهَرَ عليهم نبيُّ الله ـ ﷺ ـ ، أَمَرَ ببضعَة وعشرينَ رَجلاً ـ وفي رواية ؛ بأربعَة وعشرينَ رجلا ـ من صناديدِ قُريش ، فألقُوا في طَوِيّ من أَطْوَاءِ خبيث مُخْبِث ، وكان إِذَا ظَهَرَ على قوم أقامَ بالعَرْصَة ثلاثَ ليال ، فَلَما كانَ ببدر اليومَ الثالث أمرَ براحلَته فَشُدَّ عليها رَحلُها ، ثم مَشَى ، وأتبَعَهُ أصحَابُهُ ، قالوا : ما نرى يَنطلَقُ إلا لبعض حاجته ، حتَّى قامَ على شَفَة الركيّ ، فجعل يُناديهم بأسمائهم ،

وأسماء آبائهم : يا فُلان بن فُلان ، ويا فُلان بن فُلان ، أَيَسُرُّكم أَنَّكُم أطعتمُ الله ورسولهُ ؟ فَإِنَّا قَد وجدنا مَا وَعَدَنَا رُّبنَا حقًّا ، فَهَل وجدتُم مَا وعدَ ربكمْ حقّا ؟ فقال عمر : يا رسولَ الله ، ما تُكلِّم من أجساد لا أرواحَ لها ؟ فقال النبيُّ ـ ﷺ ـ : والذي نفس مُحمد بيدِه ، مَا أنتُم بأسمع لِمَا أقولُ منهم . قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قولَهُ ، تَوبيخاً ، وتصغيراً ، ونِقْمة ، وحسرة ، وندماً . [أخرجه البخاري ، ومسلم] .

قالت عَائِشَةَ لَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بِأُولَئِكَ الرَّهْطِ فَأُلْقُوا فِي الطُّوَى عُتْبَةُ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُهُ وَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : « **جَزَاكُمُ اللهُ شَرًّا مِنْ قَوْمٍ نَبِيٍّ مَا كَانَ أَسْوَأَ الطَّرْدِ وَأَشَدَّ التَّكْذِيبِ** » قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ : كَيْفَ تُكَلِّمُ قَوْماً جَيَّفُوا فَقَالَ : « **مَا أَنْتُمْ بِأَفْهَمَ لِقَوْلِي مِنْهُمْ أَوْ لَهُمْ أَفْهَمُ لِقَوْلِي مِنْكُمْ** » [مسند الإمام أحمد] .

إذاً الإنسان يحيا والموت عمليَّة انفصال نفسه عن جسده عن روحه . . روح الإنسان هي القوَّة المحرِّكة ، وجسده وِعاؤه ، ونفسه ذاته . النفس خالدةٌ إلى أبد الآبدين ، إما في جنَّات النعيم وإما في أعماق الجحيم ، فقد قال تعالى :

﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٧] .

فأنت خُلقت لتبقى ، إما في نعيمٍ مقيم وهذا ما نرجوه إن شاء الله تعالى ، وإما في جحيمٍ لا تطاق ولا تحتمل ، فلذلك عندما يُؤثر الإنسان الدنيا على الآخرة يكون أحمق وغبياً .

مَن آثر دنياه على آخرته خسرهما معاً ، ومن آثر آخرته على دنياه ربحهما معاً .

إني وجدت ما وعدني ربِّي حقاً ، فهل وجدتُّم ما وعد ربُّكم حقاً ؟ خاطبهم . . رايموند ماودي ألَّف كتاباً عنوانه الحياة بعد الموت . . وكان الباعث على تأليف هذا الكتاب أنَّ مريضاً توقَّف قلبه أمداً طويلاً ثم عاد ونبض ، فذكر هذا الإنسان كيف أنَّه تصوَّر أعماله كلَّها ، وكيف أنَّ نفسه ابتعدت عن جسده ، وكيف أنَّه ندم على أعماله السيِّئة ، هذا الوصف جعل مؤلِّف الكتاب يتحرَّك إلى أكثر المشافي ، وأراد أن يأخذ تقارير مشابهةً عن هذه الحالات ، وقام بجمع هذه التقارير وألَّفها في كتاب .

والملخَّص . . أنَّ الإنسان حينما يموت تبتعد نفسه عن جسده ، المؤمن يستعرض أعماله كلَّها طوال حياته ، ويُقيِّم أعماله كلَّها وفق مقياسٍ واحد هو مدى ما ينتفع بها عباد الله ، ويرى أن أعماله ولو عظمت إن لم ينتفع بها أحد فلا قيمة لها فإن خير عباد الله أنفعهم للناس .

فالإنسان حينما يُدقق ، أو حينما يعلمُ علم اليقين أنَّه سوف يدخل في القبر ، وأنَّ هذا القبر حياةٌ برزخيَّة تسبق الحياة الأُخرويَّة ، وأنَّ هذه الحياة في القبر نعيمٌ أو جحيم ، ينبغي أن يعُدَّ ألف مرَّة قبل أن يقترف المعصية .

أحد الأئمة يقول : « **الباعث . . هو الذي يبعث الخواطر الخفيَّة في الأسرار ، فمن دواعٍ ما يبعثها إلى الحسنات ، ومِنْ دواعٍ ما يبعثها إلى السيِّئات** » .

كما قلت قبل قليل . . العمل أساسه إرادة ، الإرادة تتحرَّك بالباعث ، والباعث هو الله سبحانه وتعالى يبعثنا إلى أعمالٍ اخترناها

صالحة ، أو إلى أعمالٍ اخترناها سيِّئة ، فلذلك قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، ما هو الكسبُ ؟ أنت حينما تقول : أنا سأُصلِّي ، هذا هو الباعث ، هذا هو الكسب . الله سبحانه وتعالى يُمِدُّك بقوةٍ منه ، فالله جلَّ جلاله حينما يراك تريد أن تُصلِّي يعينك على أداء الصلاة ، هو الذي يحقق أفعال العباد ، الأفعال بيد الله ، والإنسان يملك الانبعاث ، يملك الإرادة ، يملك الاختيار ، يملك الكسب ، وما سوى ذلك من خلق الله عزَّ وجلَّ ، وهذه هي العقيدة الصحيحة .

وقيل : « **الباعث . . . هو الذي يبعث الهمم إلى الترقّي في ساحات التوحيد** » .

فالإنسان أحياناً إذا وصل إلى مستوى معيَّن ولم يتجاوزه إلى مستوىً أعلى قد يصاب بالسأم والضجر والملل . . من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ، فقرار الهُدى قرارٌ مستمرٌّ فكلَّما ازددت علماً ارتقيت عند الله ، وكلَّما ارتقيت عند الله ارتفع مستوى عملك ، وكلَّما ارتفع مستوى عملك زاد إقبالك ، فهي سلسلة متتابعة ، فالذي يبقى في مرتبةٍ واحدة هذا معرَّض لأن يقول : مللت ، والله سبحانه وتعالى لا يملّ حتى تملّوا ، فإذا لم يكن هناك ازدياد علمي وازدياد عملي فلن يكون رقي حقيقي ، ولن يكون هناك عمل صالح ترقى به . وربَّما انعكس هذا سلباً على مكانة الإنسان عند الله عزَّ وجلَّ .

وقيل : « **الباعث . . هو الذي يبعثك على عليَّات الأمور** » ، أي إذا أراد ربُّك إظهار فضله عليك خلق الفضل ونسبه إليك .

الحقيقة أن هناك في الدين حقيقة خطيرة جداً ، أنت لا شيء ،

أنت ضعيف ، أنت فقير ، أنت جاهل ، ولكنك إذا أقبلت على الله أصبحت عالماً ، وإن أقبلت على الله عزَّ وجلَّ أمدك بقوةٍ من عنده ، إن أقبلت على الله علمك مالم تكن تعلم .

فالإنسان بذاته ضعيف ، أمّا بالله فهو قوي ، بذاته جاهل ، أمّا بالله فهو عالم ، بذاته فقير ، أمّا بالله فهو غني .

وبعد فملخص التوحيد ألا ترى مع الله أحداً ، وألا ترى لنفسك شيئاً ، حينما تفتقر ذاتُك إلى الله ، تستحق كل مكرمة . . لذلك قالوا : الأبواب إلى الله كثيرة ، وباب الانكسار : هو أعظم هذه الأبواب ، فكلما ازددت افتقاراً إلى الله ، رفعك الله إلى أعلى المراتب ، والأمر هو أمر متعلق بالتوحيد . كلما رأيت أن الله هو الإله العظيم الذي لانِدّ له وهو الواحد ، وهو المعطي ، هو المانع ، هو المغني ، هو الممد ، هو القابض ، هو الباسط ، هو المعز ، هو المُذل ، تتوحد وجهتك .

وبعد . . . من أين يأتي الإخلاص ؟ من التوحيد ، هناك علاقة بين التوحيد والإخلاص ، كلما ازددت توحيداً ازددت إخلاصاً ، لأنه مادام هناك جهات أخرى تعطي وتمنع ، ترفع وتخفض ، تعز وتذل ، فأنت موزع بين ما تعتقده في هذه الجهات من أنها تعطي وتمنع ، أما إذا أيقنت يقيناً قطعياً أن كلَّ الجهات عاجزة وهي لا تعطي ولا تمنع ، لا ترفع ولا تخفض ، لا تعز ولاتذل ، وأيقنت أن الله هو وحده لا شريك له ، وبيده كلّ شيء ، إليه يرجع الأمر كلّه ، فعندئذٍ تعبده وتتوكل عليه .

إذاً . . . ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، قال الله عزَّ وجلَّ :

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٣] .

أحدُ أكبرِ أسباب عذابات النفس ، أنْ تدعوَ مع الله إلهاً آخر ، وأحد أكبر أسباب الخوف أن تشرك بالله مالم ينزِّل به سلطاناً ، فمثلاً قال الله تعالى : ﴿ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الأحزاب : ٢٦] .

الرعب متعلِّق بالشرك ، فهذا قانون إلهي ، أنت تخاف بقدر ما تبتعد عن التوحيد فإذا وحَّدت الله عزَّ وجلَّ نُزع من قلبك الخوف ، لأن أمرك كلَّه بيد الله ، والله وليّك ، فلا خوف ، ولا حزن . . ولذلك فالإنسان إذا وحَّد أخلص ، وإذا أخلص ارتقت همته .

ورد : أن اصنعِ المعروف مع أهله ، ومع غير أهله ، فإن أصبت أهلَهُ أصبت أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت أهله .

الموحِّد لا يعلّق أهمية على ردود فعل الناس ، أما غير الموحد فإن أسدى إليهم معروفاً ولم يتلقَ منهم استحساناً أو ثناءً يتألم ، أما الموحد فإنْ أسدى إلى الناس معروفاً فهو يدرك أنَّه مافعل ذلك إلا ابتغاء وجه الله . . قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل : ١٩ـ٢١] .

وبعد ، فليعلم المؤمن أنّ التوحيد طريق مختصر ، والإخلاص مسرِّع ، إلاّ أن التوحيد كلمة واحدة ، وتلخِّص الإيمان كلّه ، وتلخص العمل كلّه ، وتلخص مجاهدة النفس والهوى كلّها ، والتوحيد ملخص معرفتك كلها بالله ، وهو الهدف الكبير لهذا الدين ، والآية الكريمة تقول : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

إذاً : الباعث أيضاً هو الذي يبعثك على عليَّات الأمور ، ويرفع عن قلبك وساوس الصدور ، وهذا من تعريفات اسم الباعث .

وقيل : « **الباعث الذي يصفِّي الأسرار عن الهوس ، ويسمو بالأفعال عن الدنس** » ، أيْ أنّ الله عزَّ وجلَّ إن أقبلتَ عليه طهَّر قلبك من الأدران .

وإني لأذكر هذه الآية : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ ، فأجد فيها معنًى دقيقاً شفافاً . . ذلك أن الله سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ الباء باء السبب أي بسبب رحمةٍ استقرت في قلبك يا محمد ، من خلال اتصالك بالله لنت لهم ، فلما لنت لهم التفوا حولك ، وأحبّوك وأقبلوا عليك .

لو أن الإنسان انقطع عن الله خلا قلبه من الرحمة ، فكان فظاً غليظاً ، فلما كان فظاً غليظاً انفضَّ الناس من حوله ، فهل بالإمكان أن نستنبط قانوناً ؟ القانون : هو اتصالٌ . . رحمةٌ . . لينٌ . . يعني التفافٌ من حولك ، انقطاعٌ . . قسوة . . غلظة . . يعني انفضاضاً عنك ، هذا هو القانون .

إن اتصلت بالله عزَّ وجلَّ تستقر الرحمة في قلبك ، مُنْعَكَسُ هذا الرحمة لين ، وتواضع وإيناس وذوق ، عندئذٍ يجتمع الناس حولك ، فلو أن القلب أقفر من الاتصال بالله عزَّ وجلَّ ، أصبح قاسياً وعندئذٍ يصبح فظاً غليظاً ، وينفض الناس من حوله .

هناك حقيقة : هي أن الدعوة إلى الله ليست المعلومات وحدها ، بل هي الشرط اللازم لها ، إن المعلومات شرط لازم وغير كافٍ ، لكنَّ القلب الكبير الذي يسع الخلق ، القلب الكبير الذي يرحم

الخلق ، والقلب الكبير الذي يتواضع للخلق ، القلب الكبير الذي يعطف على الخلق ، هذا القلب هو أساس الدعوة إلى الله ، لأن أصحاب النّبي عليه الصلاة والسلام أحبوه حباً لا يوصف .

سيدنا ربيعة بن كعب الأسلمي حينما كان يخدم النبي ﷺ ، وانتهت خدمته ذات ليلة وأمره أن ينصرف ، بقي على عتبة دارِهِ حتى الفجر من شدة التعلُّق به ، مامعنى ذلك ؟ التعلُّق له علاقة بالكمال ، كلّما كنت أكثر كمالاً تعلَّق الناس بك ، وكلما ابتعدت عن الله عزَّ وجلَّ انخفض مستوى الكمال ، وعندئذٍ ينفضُّ الناس من حولك .

قيل : « **الباعث هو الذي يبعثك على عليَّات الأمور ويرفع عن قلبك وساوس الصدور ، والباعث هو الذي يصفِّي الأسرار عن الهوس وينقي الأفعال من الدنس** » .

وقيل « **الباعث . . باعث الرسل بالأحكام ، فبعث الله النبيِّين مبشرين ومنذرين ، وباعث الموتى بالقيام** » .

قال الله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٦] .

وباعث النيام بيقظةِ الأجسام . . الإنسان ينام ، ماهو النوم ؟ موتٌ مؤقَّت ، قال الله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ ﴾ [الزمر : ٤٢] .

النوم موت مؤقت ، لهذا كان عليه الصلاة والسلام إذا أوى إلى فراشه ، يقول :

« **إِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ**

الصَّالِحِينَ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلِ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ » . [سنن الترمذي] .

وكان عليه الصلاة والسلام إذا استيقظ يقول :

« الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » [متفق عليه] .

وفي الآثر : « مامن يومٍ إلا وينادي يا ابن آدم! أنا خلقٌ جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة » .

ولقد ورد في بعض الأدعية : أن لا بورك لي في طلوع شمس يومٍ لم أزدد فيه من الله علماً ، ولا بورك لي في طلوع شمس يومٍ ، لم أزدد فيه من الله قرباً ، والإنسان بضعة أيام كلما انقضى يومٌ انقضى بضعٌ منه .

فالله هو الذي يبعثك من نومك ، فإذا استيقظ الإنسان ينبغي أن يعلم أن الله سمح له أن يعيش يوماً جديداً . إذاً فهو يبعث الموتى ، ويبعث الرسل ، ويبعث النيام ، ويبعث كلَّ ساكن .

عند بعض العلماء تجد أن حقيقة البعثِ . هي إحياء الموتى بإنشائهم نشأةً أخرى .

والحقيقة ـ كما أقول دائماً ـ أنَّ أسماء الله سبحانه وتعالى محققةٌ كلها في الحياة الدنيا ، كلُّ الأسماء الحُسنى الكون مظهرٌ لها ، إلا أن اسم العدل لا يتحقق كاملاً إلا في الدار الآخرة ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يبدأ الخلق ثم يعيده لتُجزى كلُّ نفسٍ بما كسبت .

في الدنيا قد يعاقب الله بعض المسيئين عقاباً تربوياً تأديبياً لبقية المسيئين ، وقد يكافىء الله بعض المحسنين مكافأةً تشجيعيةً لبقية المحسنين ، ولكن قد تجد مسيئاً لا يعاقب ، ومحسناً لا يكافأ ، لأن الحياة

الدنيا دار عمل ، ودار ابتلاء ، ودار تكليف ، أما الجزاء الأوفى ، والحساب الكامل ، والرصيد فهو في الآخرة . . قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ ﴾[آل عمران : ١٨٥] .

أي فأنت في دار عمل ، ثم هناك دار جزاء ، هنا عمل ولا جزاء ، وفي الآخرة جزاء ولا عمل ، أنت في دار تكليف ، والآخرة دار تشريف ، فإذا اختلطت عندك الأمور ، وإذا ظننت أن الدنيا دار تشريف ، وأن القوي مكرمٌ ، والغني مكرمٌ ، وقعت في وهمٍ كبير .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ** » .

[سنن الترمذي]

أنت في دار ابتلاء ، لا دار قرار ، الآخرة هي دار القرار ، والآخرة هي دار الجزاء ، الآخرة هي دار النعيم ، الآخرة هي الدار التي تُؤتى فيها ما تشتهي دون عمل . . قال تعالى :

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق : ٣٥] .

أما الدنيا فهي دار سعي ، لا بدّ من أن تسعى حتى تصل ، لذلك الله عزَّ وجلَّ قال :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ [النجم : ٣٩ـ٤٠] .

فحقيقة البعث عند بعض العلماء : هو أن الله سبحانه وتعالى يحيي الموتى بإنشائهم نشأةً أخرى .

وقد قيل : « **الجهل هو الموت الأكبر** » ، أيْ الجاهل يفعل في نفسه مالا يستطيع عدوه أن يفعله به ، والعلم هو الحياة العُليا ، أيْ أعلى درجات الحياة أن تعرف الله ، وأدنى درجات الموت أن تجهله

فلا تعرفه ، وقد ذكر الله تعالى العلم والجهل في القرآن وسماهما ، حياةً وموتاً : قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أي كنتم موتى بالجهل ثم أحياكم بالعلم ، وكنتم موتى بالبعد وأحياكم بالقرب ، كنتم موتى بالضياع فأحياكم بالوجدان ، كنتم موتى بالإدبار فأحياكم بالإقبال ، كنتم موتى بالتفلُّت فأحياكم بالانضباط .

لذلك فإن العلماء يقولون في تفسير هذه الآية : « **إن أعلى درجات الحياة أن تعرف الله وأن تتصل به** » ، فقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

ليس مَنْ مات فاستراح بميْتٍ إنما الميْتُ ميِّت الأحياء

سيدنا علي يقول : « **العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، وصنيعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دين يدان بها ، العلم يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد مماته ، مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة** » .

يقول أحد العلماء : « **الجهل هو الموت الأكبر ، والعلم هو الحياة العليا ، وقد ذكر الله تعالى الجهل والعلم في القرآن فسماهما حياةً وموتاً** » .

هناك معنى يضيفه أحد العلماء : « **أنه مَنْ رقَّى إنساناً من الجهل إلى العلم ، ومن البعد إلى القرب ، ومن الإدبار إلى الإقبال ، فقد**

أنشأه نشأةً أخرى » ، هناك نشأة حيوانية : جسم ، قلب رئتان معدة أمعاء فم سمع بصر يتحرك يأكل ينام يتزوج ، هذه حياة لا تليق بالإنسان ، إلا أنّ هناك حياة أرقى ، أن تفكر وأن تعرف الله وأن تعرف منهجه وأن تعرف من أين.. وإلى أين.. ولماذا ؟ هذا أكبر سؤال ، فعندما يعرف الإنسان سرَّ وجوده وغاية وجوده ويعرف ربّه ويعرف منهج ربّه ، وأن هذه الحياة حياة دنيا ، إعدادية لحياة عليا أبدية عندئذٍ يصبح في أعلى درجات الحياة.. قال تعالى : ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ .

قالوا : هذا هو التعليم الحق.. نقل الناس من الموت إلى الحياة ، من الجهل إلى العلم ، من الإدبار إلى الإقبال ، من الضياع إلى الوجدان ، فهذه رتبة الأنبياء والمرسلين ، ومن ينوب منابهم من العلماء الصادقين ؛ لذلك قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

اسم الباعث لم يرد في القرآن الكريم بصيغة الباعث ، ولكن ورد بصيغة الفعل.. قال الله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٠] .

هذا الاسم ورد ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي أن تبعث من النوم إلى اليقظة ، وهو المعنى الأول ، وفي سورة النحل قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

المعنى الثاني : إرسال الأنبياء .

وفي سورة الإسراء قال تعالى :

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨ـ٧٩] .

وفي سورة الكهف قال تعالى عن أهل الكهف :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف : ١٢] .

وفي الحج :

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج : ٧] .

المعاني كلها التي وردت عن اسم الباعث وردت في هذه الآيات . . وفي سورة التغابن قال تعالى :

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن : ٧] .

ثمّ إنّ هناك نقطة دقيقة الدلالة ، فالله عزَّ وجلَّ عندما قال :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ [الفيل : ١] .

من منّا رأى هذه الحادثة ؟ لا أحد . لعل أحدهم يقول : لو أن الله عزَّ وجلَّ قال : ألم تصدق ، ألم تسمع ، بدل قوله : ألم تَرَ .

العلماء قالوا : « إنَّ إخبار الله عزَّ وجلَّ ـ لمصداقيته المطلقة ـ ينبغي أن يقع منك موقع الرؤية ، إن مصداقية الله عزَّ وجلَّ في أخباره ينبغي أن توقع هذه الأخبار منك موقع الرؤية ، بل إن الفعل الماضي الذي يستخدم في القرآن الكريم في التعبير عن المستقبل كقوله

تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [المائدة : ١١٦] .

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ . . هذا لم يقع بعد ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ ، استخدام الفعل الماضي من أجل أن يقع هذا الخبر في نفسك موقع الوقوع الحتمي اليقيني ، أتى أمر الله فعل ماض فلا تستعجلوه إذاً : لم يأتِ . أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، الفعل الماضي حينما يعبر به عن المستقبل وحينما يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ ، أي يجب أن تقع أخبار الله التي أخبرك بها في كتابه موقع اليقين الشهودي .

بقي من البحث فقرةٌ أخيرة وهي ما حَظُّ العبد من هذا الاسم الباعث ؟ كيف أن الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى ؟ والإنسان قبل أن يعرف اللهَ ، ميتٌ ، فإذا أحيا قلبه بالمعرفة ، وبالطاعة فكأنه تخلَّق بكمالات الله هذا أول معنى . . ففي الآية الكريمة قال تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٢] .

وفي سورة النحل قال تعالى : ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل : ٢] .

فالعبد إذا سعى لمعرفة الله ، وطاعته والإقبال عليه ، والاستنارة بنوره ، فقد بعث نفسه من الموت إلى الحياة ، هذا من تخلُّق أخلاق العبد باسم الباعث .

التخلّق الثاني : المتخلّق باسم الباعث ينبغي أن يبعث نفسه دائماً كما يريد مولاه فعلاً وقولاً ؛ أي أنْ تأتي أفعاله مطابقة لكتاب الله .

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ : كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ . [مسند الإمام أحمد] .

قالوا : الكون قرآنٌ صامت ، والقرآن كونٌ ناطق ، والنّبي ﷺ قرآن يمشي .

فمن تطبيقات اسم الباعث على العباد أنّهُ مِن تأدُّبِ العبد باسم الباعث أن يبعث نفسه بما يُرْضي ربَّه ، وأن يجعل أعماله متوافقةً مع منهج ربِّه .

الأدب الثالث : مِن أدب المؤمن مع اسم الباعث أنه إذا تحقق وأيقن ، أن الله سبحانه وتعالى يبعث الناس بعد الموت ثم يجزيهم بالثواب والعقاب ، فعندئذٍ يشغل وقته كلّه بطاعته ، والتزود للدار الآخرةِ وتصفُّحِ أعماله ومحاسبة نفسه حساباً دقيقاً .

رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه وضع يده ـ يعني : اليمنى ـ تحت خدِّه ثم قال : « **اللهم! قني عذابك يوم تبعث عبادك** » [رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه] ، وكان ﷺ يقول عند الاستيقاظ : « **الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور** » [متفق عليه] .

وأخيراً فملخّص الملخص . . . اسم الباعث من أسماء الله الحُسنى ، يبعث الله الرسل ، يبعث الله من في القبور ، يبعث الله العباد لأعمالٍ تحقق اختيارهم ثم تربيهم ، ويبعث الله تعالى كلَّ ساكن ، وأدب المؤمن مع الله عزَّ وجلَّ بالنسبة لهذا الاسم ـ كما ذكرت قبل قليل ـ أن يبعث نفسه دائماً كما يريد مولاه فعلاً وقولاً .

* * *